كتاب
الدلائل في غريب الحديث

تأليف

أبي محمد القاسم بن ثابت السرقسطي
٢٥٥-٣٠٢ هـ

الجزء الأول

تحقيق

د/ محمد بن عبد الله القناص

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العوفي، قاسم بن ثابت

كتاب الدلائل في غريب الحديث / القاسم ثابت السرقسطي؛ تحقيق محمد عبد الله القناص. - الرياض.

٤٣٢ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٠-٧١١-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٧١٢-٢٠-١٩٦٠ (ج١)

١ - الحديث - غريب أ - القناص، محمد عبد الله (محقق)

ب - العنوان

١- ديوي ٦ر٢٣١ ١٨٨٨ / ٢١

ردمك: ٠-٧١١-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٨٨٨ / ٢١

٩-٧١٢-٢٠-١٩٦٠ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

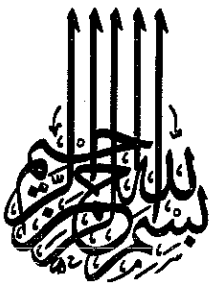
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١).

﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢).

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

أما بعد:

فإن من أفضل ما بذلت فيه الأوقات، وأنفقت فيه نفائس الساعات خدمة السنة النبوية متوناً وأسانيد، ورواية ودراية، وقد قيض الله تعالى لهذه السنة المطهرة عبر القرون والأجيال جهابذة العلماء، فأفنوا أعمارهم، وبذلوا أوقاتهم في خدمتها، والذب عنها فنفوا عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتنوعت اهتماماتهم وجهودهم فشملت مجالات واسعة، وميادين كثيرة، فصنفوا المصنفات الكثيرة المتنوعة الموجهة لخدمة نصوص السنة المطهرة متوناً وأسانيد ورواية ودراية، وعُنوا عناية خاصة بالتصنيف في غريب الحديث، وذلك بإيضاح ما وقع في متون الأحاديث والآثار من كلمات غامضة، ومعاني مشكلة، وذلك حين دعت الحاجة إلى هذا اللون من التصنيف حيث تفشت العجمة، واختلطت الألسنة، ووجد الجهل بوجوه كلام العرب.

وشهد أواخر القرن الثاني، ومطلع القرن الثالث أولى هذه المحاولات، فكان من

---

١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

٢) سورة النساء، الآية (١).

٣) سورة الأحزاب، الآية (٧٠، ٧١).

أوائل من صنف في غريب الحديث، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠)، وأبو الحسن النضر بن شميل المازني (ت ٢٠٤)، وعبدالملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦)، وغيرهم، وكانت مصنفاتهم صغيرة محدودة.

واستمر الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام، فكان استواء التصنيف في غريب الحديث على يديه، وقدر لكتابه أن يحجب ما سبقه من مؤلفات في هذا الفن، وبلغت شهرته الآفاق، ثم جاء بعده أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ، فصنف كتابه المشهور، ونهج فيه منهج أبي عبيد، فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر، ولم يودعه من كتاب أبي عبيد شيئاً إلا ما تدعو إليه الحاجة كزيادة شرح أو بيان لفظ، ثم جاء بعدهما القاسم بن ثابت، فاطلع على كتاب أبي عبيد وابن قتيبة، وقد انتشرا بالأندلس، وتداولهما العلماء، فرأى أن ينهض بعبء إكمال ما بدآه، واستيفاء ما فاتهما، وذلك بالتذييل عليهما، واستدراك ما تدعو الحاجة إليه، فألف كتابه: «الدلائل».

وقد رأيت أن يكون عملي في إكمال دراستي لنيل درجة الدكتوراه في تحقيق كتاب «الدلائل» وذلك لعدة أسباب من أهمها ما يأتي:

١ ـ مكانة المؤلف العلمية، فهو محدث لغوي فقيه، شهد له مترجموه بالتقدم في العلم ومعرفة الغريب والنحو والشعر والإمامة في الحديث والفقه مع الورع والزهد والذكاء المفرط.

٢ ـ قيمة الكتاب العلمية، وتتجلى فيما يأتي:

أ ـ يسوق المؤلف الأحاديث والآثار في الغالب مسندة، وإسناد المؤلف على قدر من العلو، فقد رحل إلى المشرق هو وأبوه، فسمع بمصر من الإمام أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن جعفر الرافقي أبو بكر بن الإمام، وسمع بمكة من عبدالله بن علي الجارود، ومحمد بن علي الصائغ، وموسى بن هارون الحمال، وغيرهم.

ب ـ يعتبر الكتاب مصدراً من مصادر التخريج فقد اعتمده الزيلعي في نصب الراية وابن حجر في عدد من كتبه، وغيرهما.

ج ـ تفرد المؤلف ببعض الأحاديث والآثار والطرق التي لا توجد عند غيره حسب بحثي.

د ـ ظهر في هذا الكتاب شخصية المؤلف العلمية، وذلك بالترجيح والاختيار والنقد والاستدراك، سواء في الجوانب الحديثية أو الفقهية أو اللغوية.

هـ ـ حظي الكتاب بالتقدير والاحتفاء، ونال من العلماء غاية الإعجاب، وأفادوا منه في مصنفاتهم.

لهذه الأسباب وغيرها أقدمت مستعيناً بالله على اختيار هذا الموضوع مع اعترافي بالتقصير والضعف، وتقديري لصعوبة العمل في مثل هذا الكتاب فهو كتاب عظيم في فن مهم دقيق لإمام متمكن، واسع الاطلاع، مفرط الذكاء.

وقد سرت في إعداد هذا البحث على الخطة التالية:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة، تليها الفهارس الفنية.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع ، وسبب اختياره، وشرح خطة البحث.

القسم الأول: قسم الدراسة، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: دراسة عن حياة المؤلف، وتشتمل على: عصره، والتعريف بـ «سرقسطة» بلد المؤلف، واسمه وكنيته ونسبه، وولادته، ونشأته، ورحلاته في طلب العلم، وشيوخه، ومذهبه، ومكانته العلمية، ووفاته.

والثاني: دراسة مفصلة لكتاب «الدلائل» في القسم المحقق، وتشتمل على ما يأتي:

موضوع الكتاب ، ومنهج المؤلف فيه، وموارده في الكتاب، وذيوع الكتاب في الأندلس وطرق روايته، والنقول والاقتباس من الكتاب، ومقتطفات من ثناء العلماء على الكتاب، وأهم مميزات الكتاب، وأهم المآخذ عليه.

والثالث: تحقيق اسم الكتاب، وإثبات نسبته للمؤلف، ووصف نسخ الكتاب، وتحديد النسخة المعتمدة، وبيان سبب اختيارها.

القسم الثاني: طريقة العمل في تحقيق الكتاب.

تشمل: تحقيق نص الكتاب بضبطه ومقابلته، وتخريج الأحاديث والآثار ودراسة أسانيدها، والحكم عليها، وتوثيق الأقوال والروايات والأشعار الواردة في الكتاب، وتوضيح النص بالتعليق على ما يحتاج إلى توضيح.

القسم الثالث: النص محققاً ومعلقاً عليه طبقاً لخطة العمل السابقة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال العمل بإيجاز.

الفهارس: وتشتمل على:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الرواة.

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس الغريب.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الأشعار.

فهرس الأراجيز.

فهرس الموضوعات.

فهرس الأمثال.

فهرس الأمم والقبائل والطوائف والنجوم.

فهرس الأيام والوقائع.

وفي الختام فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما يسره لي من جهد ووقت، ثم أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اهتمامها بطلابها، وحسن رعايتها لهم، وأخص بذلك كلية أصول الدين ممثلة في عميدها ووكيليه وقسم السنة وعلومها، كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور حسن هنداوي والأستاذ المشارك الدكتور باسم

فيصل الجوابرة على تفضلهما بقبول الإشراف على هذه الرسالة وقراءتها وإبداء الملاحظات عليها ومتابعة سير عملي فيها، فأسأل الله تعالى أن يجزيهما عني أفضل الجزاء، وأشكر أيضاً كل من أعانني على تخطي عقبة أو حل إشكال، أو تسهيل الحصول على كتب ومراجع ليست تحت يدي، أتقدم للجميع بالشكر والثناء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

محمد بن عبد الله القناص

القسم الأول

المبحث الأول

دراسة عن حياة المؤلف

وتشتمل على ما يأتي:

١ ـ عصره.

٢ ـ التعريف بـ «سرقسطة» بلده.

٣ ـ اسمه وكنيته ونسبه.

٤ ـ ولادته ونشأته.

٥ ـ رحلاته في طلب العلم.

٦ ـ شيوخه.

٧ ـ مذهبه الفقهي.

٨ ـ مكانته العلمية.

٩ ـ وفاته.

أ ـ عصره:

عاش القاسم بن ثابت السرقسطي ما بين سنة ٢٥٥ ـ ٣٠٢هـ، في العصر الأموي، عصر «دويلات الطوائف الأولى» حكم خلالها ثلاثة من الأمراء الأمويين، وهم محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٢٣٨ ـ ٢٧٣)، والمنذر بن محمد (٢٧٣ ـ ٢٧٥)، وعبدالله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠).

وكانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات السياسية، كما كانت سلطة الحكومة الأموية بقرطبة في خلالها ضعيفة محدودة، وكانت الأندلس قبل هذه الفترة تنتظم على العموم في وحدة سياسية مترابطة تحت ظلال الإمارة الأموية.

وبدأ هذا الترابط يضعف بدخول النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وذلك بقيام عدد من المتمردين على هذه الإمارة، وقد بذل الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن الأوسط جهوداً عسكرية لرأب الصدع، ولم الشعث، إلا أنه لم يستطع أن يوقف ذلك التصدع الذي تفاقم بمرور الوقت، فلما مات هذا الأمير، وتولى بعده ابنه الأمير المنذر، حرص هو الآخر على إحلال الوحدة مكان الفرقة، والإئتلاف بدلاً من الاختلاف، ولكنه توفي قبل أن تبلغ فترة حكمه السنتين، فتولى بعده أخوه الأمير عبدالله الذي رافق جلوسه على عرش الإمارة تعقد الأحوال السياسية بنجوم عدد جديد من المتمردين على سلطته، فلم يكد يطل العام الثاني من حكمه حتى شملت حركات التمرد جل أنحاء الأندلس.

وكان استعار الفتنة في الأندلس بهذه الصورة الشاملة يرجع إلى عدة أسباب، وعلى رأسها التفكك الاجتماعي الناشيء بالدرجة الأولى عن نظرة عنصرية، وذلك أن المتحكمين بشؤون الأندلس في تلك الفترة من العرب ومن والاهم، كانوا يستصغرون المولدين ـ وهم المسلمون من الأندلسيين ـ ويهضمونهم حقوقهم المشروعة لهم في الإسلام، فانبرى المولدون للمطالبة بحقوقهم، فكانت تلك المواجهات الدامية، وبجانب هذا السبب المهم هناك عوامل أخرى لها أثر في اضطراب الأوضاع في الأندلس إبان تلك الفترة، منها الطبيعة الجغرافية للبلاد القائمة على انعزال كل إقليم عن الآخر،

ومنها ما أحدثه الإنفتاح على المشرق من دخول تيارات فكرية محرضة على التغيير، ومنها التخلخل الإداري الذي عانت منه الأندلس أيام الأمير محمد، ومنها دور القوى النصرانية المجاورة في تأجيج نار الفتنة(١).

وشهدت سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى بلد المؤلف اضطرابات شديدة وفتنة عارمة فقد سار المولدون في الثغر الأعلى سرقسطة وما حولها على نهج إخونهم من مولدي الأندلس المتمثل في التعصب ضد العرب.

وكان من أقوى ثوار سرقسطة في القرن الثالث الهجري موسى بن موسى بن فرتون من بني قسي المتوفي سنة ٢٤٨هـ، وثار من بعده لب بن موسى القسوي الذي تغلب على الثغر سنة ٢٥٧هـ، وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما، وأسر عمال الإمام محمد بن عبدالرحمن، وقتل عرب سرقسطة من قبائل شتى، أخرجهم إلى بقيرة فقتلهم بها بمرج يعرف بمرج العرب، وذلك في سنة ٢٦٠هـ.

ثم تمرد محمد بن لب القسوي على السلطة الأموية فشق عصا الطاعة، وحاصر مدينة تطيلة، وقتل أحد القواد الأمويين هناك، وأسند إدارتها إلى ابنه لب.

وبدأ محمد يشرئب إلى توسعة رقعة نفوذه في الثغر الأعلى والمناطق المجاورة، فكانت مدينة سرقسطة أول هدف له، وكانت تحت أسرة بني تجيب العربية منذ أواسط سنة ٢٧٦هـ، فحاصرها في أواخر عام ٢٧٦هـ بغية الإستيلاء عليها، وصمدت أمامه، فلم يفلح في اقتحامها، لكنه عزم على مواصلة الحصار، وفي أثناء ذلك تم اغتياله وهو يتفقد جنده المحاصرين لسرقسطة، فتابع المهمة ابنه لب الذي آلت إليه الزعامة بعد أبيه، فحاصر بني تجيب في سرقسطة، واستمر الحصار لهذه المدينة ثمانية عشر

---

١) ينظر: في تاريخ المغرب والأندلس ص (١٦٧) وما بعدها، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ص (٤٣٠ ـ ٤٣٤)، قرطبة في العصر الإسلامي ص (٥٢ ـ ٦٣)، دراسات في تاريخ الأندلس ص (٢٢٧) وما بعدها.

عاماً، امتد من سنة ٢٧٦ ـ ٢٩٤هـ، ثم قتل لب بن محمد في حرب مع النصارى في تلك السنة، وتولى أمر أسرة بني قسي عبدالله أخوه، فكان أول عمل قام به هو فض الحصار المضروب على سرقسطة، وآثر الانضواء تحت لواء الإمارة الأموية ، وأظهر الولاء للأمير عبدالله(١).

واستمر الحال على ذلك حتى عصر الأمير عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠) الذي أطفأ الله به نيران الفتنة في أرجاء الأندلس كافة، ونعمت بالاستقرار والرخاء، وسكنت فيها العواصف الجامحة، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها، وشهدت قرطبة مجداً لم تشهد نظيره في أي عهد من العهود، وأعلن الخلافة، وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، وذلك سنة ٣١٦هـ، وعاش المؤلف من حياته سنتين في هذه الفترة الزاهية المجيدة.

إن الفتنة التي عمت أرجاء الأندلس في تلك الفترة، كانت لها آثار سيئة على بلاد الأندلس فقد فقدت الأندلس كثيراً من أهلها، وتعرض العديد منهم للأسر والاستعباد، كما انتشرت في ذلك الوقت ظاهرة نهب الأموال والسطو على الممتلكات، وأثرت في النواحي العمرانية والزراعية والتجارية، وظهرت مجاعات طاحنة أعقبها في بعض السنوات أوبئة وأمراض فتاكة(٢).

تلك لمحة موجزة ، وكلمات مقتضبة عن الأحوال السياسية خلال الفترة التي عاشها القاسم بن ثابت السرقسطي، وتجدر الإشارة إلى أن سوء الأحوال السياسية

---

١) ينظر: نصوص عن الأندلس ص (٢٥ ـ ٤٠)، الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ص (٣٠٠) وما بعدها، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث ص (١٧٥ ـ ١٨٣).

٢) الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث ص (٤٣٣ ـ ٤٣٤)، دراسات في تاريخ الأندلس ص (٢٢٧ ـ ٢٣٩).

إبان تلك الحقبة لم تنعكس آثارها على الحركة العلمية والأدبية، فقد مضى علماء الأندلس في سبيل نشر علمهم وأدبهم، فكانت مجالسهم وحلقاتهم وأنديتهم حافلة بالطلاب، عامرة بفنون العلم، وضروب المعرفة، يشجعهم ويحفزهم أولئك الأمراء الذين كان لهم نصيب وافر من العلم والمعرفة.

قال ابن القوطية : ـ منوهاً بالأمير محمد ـ «كان من أهل الأناة، وقلة العجلة، مكرماً لأعلام الناس من أهل العلم»(١).

ووصف أيضاً بأنه كان «شغوفاً بالبيان، مؤثراً لأهل الآداب»(٢).

وقال ابن القوطية في وصف المنذر بن محمد: «كان من أهل العقل والسخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح، والاصطناع لكل من أخذ بحظ من علم وأدب»(٣).

وأما الأمير عبدالله فقد وصفه ابن عذارى بأنه كان متفنناً في ضروب العلوم، بصيراً بلغات العرب، فصيح اللسان، حسن البيان، حافظاً لأشعار العرب وأيامها، وسير الخلفاء، راوية للشعر(٤).

وقد سجل التاريخ للأمير محمد موقفاً مجيداً يوضح ما كان يتمتع به هذا الأمير من حماية للعلماء والوقوف بجانب الحق ضد التعصب، وقد تجلى ذلك في وقوفه إلى جانب الإمام المحدث بقي بن مخلد، ت (٢٧٦)، ضد خصومه المتعصبين، فقد عاد بقي بن مخلد بعد رحلته الطويلة من بلاد المشرق «بما جمع من العلوم الواسعة، والروايات العالية، والاختلافات الفقهية، وغاظ ذلك فقهاء قرطبة أصحاب الرأي والتقليد، الزاهدين في الحديث، العارين من علوم التحقيق، المقصرين عن التوسع في المعرفة فحسدوه،

---

١) تاريخ افتتاح الأندلس ص (٨٦).

٢) تاريخ التعليم بالأندلس ص (١٠٠).

٣) تاريخ افتتاح الأندلس ص (١١٣).

٤) البيان المغرب (١٥٣/٢ ـ ١٥٤).

ووضعوا فيه القول القبيح حتى ألزموه البدعة، وشنؤوه إلى العامة، وتخطى كثير منهم إلى رميه بالإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة، داعين إلى سفك دمه، وخاطبوا الأمير محمداً في شأنه.. فأمر بتأمين بقي بن مخلد وإحضاره مع الطالبين له، فتناظروا بين يديه، فأدلى بقي بحجته، وظهر على خصومه، واستبان للأمير حسدهم إياه، لتقصيرهم عن مداه، فدفعهم عنه، وتقدم إليه بنشر علمه، وأمر بإيصاله إليه في زمرة الفقهاء، والرفع من منزلته، فاعتلى ذروة العلم، ولم يزل عظيم القدر عند الناس، وعند الأمير محمد إلى أن مات رحمه الله»(١).

إن هذا الموقف من الأمير محمد يوضح ما كان يتحلى به من عدل وإنصاف ووقوف بجانب الحق، وعدم قبول كلام أهل التعصب والحسد في أهل العلم، كما يكشف عما كانت تتمتع به الحركة العلمية من رعاية وتقدير واهتمام وعدم انغلاق وتحجر، وبهذا الموقف للأمير وإتاحة الفرصة لبقي بن مخلد لينشر علمه أصبحت بلاد الأندلس دار حديث.

يقول ابن الفرضي:

«وبقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثاً ورواية، وأنكر عليه أصحابه الأندلسيون.. ما أدخله من كتب الاختلاف، وغرائب الحديث، وأغروا به السلطان، وأخافوه به، ثم إن الله بمنه وفضله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه»(٢).

---

١) المقتبس من أنباء الأندلس ص (٢٤٨، ٢٤٩)، تحقيق محمود علي مكي.

٢) تاريخ علماء الأندلس ص (٩٢/١).

٣ . التعريف بـ «سرقسطة» بلد المؤلف:

تُعد مدينة سرقسطة مسقط رأس القاسم بن ثابت وأبيه قاعدة الثغر الأعلى، وتقع في شمال شرق الأندلس، وقد فتحها المسلمون بقيادة موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد دون مقاومة، وأعطوا أهلها الأمان، وبعد أن استقر المسلمون في سرقسطة اختط التابعي حنش بن عبدالله الصنعاني مسجداً في القسم الشمالي الشرقي من المدينة، واتخذ موسى بن نصير من سرقسطة قاعدة لفتح بقية مدن الثغر الأعلى؛ لأنها تتوسط المنطقة وغدت سرقسطة في القرنين الثاني والثالث للهجرة قاعدة للثوار والخوارج على حكومة قرطبة.

وفي مطلع القرن الرابع أصبحت مركزاً لسلطان بني تجيب في الثغر الأعلى، وقد حكموها إلى ما بعد انهيار الخلافة وقيام دول الطوائف سنة ٤٣٠هـ، ثم خلفهم في حكمها بنو هود وأصبحت في ظلهم قاعدة لإمارة قوية من ممالك الطوائف، واستمروا في رئاستها زهاء ثمانين عاماً، حتى سقطت في يد «ألفونسو الأول» ملك أراجون في سنة ٥١٢هـ.

ووصفت كتب البلدان سرقسطة بأنها مدينة كبيرة، من أطيب بلدان الأندلس، وأكثرها ثمرة، حسنة الديار والمساكن، واسعة الشوارع، متصلة الجنات والبساتين، وكانت تسمى المدينة البيضاء؛ لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض(١).

واشتهرت هذه المدينة بالعلماء في شتى فنون المعرفة وضروب العلم.

وقد استعرضت تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وهو يُعنى بذكر علماء

---

١) ينظر: صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ص (١٩٠)، صفة جزيرة الأندلس ص (٩٦ ـ ٩٨)، نصوص عن الأندلس ص (٢٢ ـ ٢٥)، الثغر الأعلى الأندلسي ص (٧١ ـ ٧٤)، الآثار الأندلسية الباقية ص (١٠٤ ـ ١١٢).

الأندلس من المائة الثانية إلى آخر الأربعمائة(١)، فرأيته نسب إلى هذه المدينة جماً غفيراً من العلماء في شتى فنون العلم، وسوف أشير إليهم بإيجاز.

- إبراهيم بن نصر الجهني السرقسطي، توفي سنة (٢٨٧)، ووصفه ابن الفرضي بأنه كان عالماً بالحديث، بصيراً بعلله، وكان ثقة(٢).

وهو من شيوخ القاسم بن ثابت وأبيه، وقد أكثر المؤلف من الرواية عنه في كتاب الدلائل.

- إبراهيم بن إسحاق الجهني، من أهل سرقسطة، توفي سنة (٢٨٩) - قال ابن الفرضي: كان فقيهاً(٣).

- إبراهيم بن هارون بن سهل، من أهل سرقسطة، توفي سنة (٢٩٦)، قال ابن الفرضي: ولي أحكام القضاء بها(٤).

- أحمد بن محمد بن عجلان، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان فقيهاً، وكانت له رحلة(٥).

- أحمد بن يوسف بن عابس المعافري، أصله من سرقسطة، توفي سنة ٢٩٩هـ أو ٣٠٠هـ، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة. وكان ذا فهم ونبل، ومتصرفاً في علم اللغة والنحو والشعر، وشاعراً مطبوعاً(٦).

- إسماعيل بن محمد بن سعيد بن خلف، من أهل سرقسطة، توفي سنة (٣٨٥)، قل ابن الفرضي: كان شيخاً صالحاً، حدث، وكتب الناس عنه، وقرئت عليه الكتب(٧).

---

١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص (١٢٢).

٢) تاريخ علماء الأندلس (١٢/١).

٣) المصدر السباق (١٣/١).

٤) المصدر السابق (١٣/١).

٥) المصدر السابق (٢٤/١).

٦) المصدر السابق (٢٧/١).

٧) المصدر السابق ص (٦٩/١).

- إسحاق بن عبدالرحمن، من أهل سرقسطة، توفي قريباً من سنة ٣٢٠هـ، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة رحلة وعناية، وكان فاضلاً عابداً.. ذا بلاغة وخطابة(١).

- أسامة بن صخر الحجري، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٧٦هـ، قال ابن الفرضي: كان مشهوراً بالعلم، وكانت له رحلة إلى المشرق(٢).

- أسامة بن خطاب الغافقي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان معول أهل بلده في وقته عليه، في دينه وفضله(٣).

- أيوب بن سليمان بن معاوية الرعيني، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وعناية بالعلم(٤).

- حسان بن يسار الهذلي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان قاضيها وقت دخول الإمام عبدالرحمن بن معاوية(٥).

- حسان بن عبدالسلام السلمي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان من أهل العلم والتدين، رحل فسمع من مالك بن أنس(٦).

- حفص بن عبدالسلام السلمي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: رحل مع أخيه حسان، وسمعا من مالك بن أنس، وكانا جميعاً فاضلين، وكان حفص متفنناً في العلوم، بليغاً حاذقاً، ويحكى أنه لزم مالك بن أنس مدة سبعة أعوام(٧).

- حكم بن إبراهيم بن محمد المرادي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: حدث وكتب إلينا بإجازة حديثه(٨).

---

١) تاريخ علماء الأندلس (١/٧١).

٢) المصدر السابق (١/٧٥).

٣) المصدر السابق (١/٧٥).

٤) المصدر السابق (١/٨٧).

٥) المصدر السابق (١/١١٦).

٦) المصدر السابق (١/١١٦).

٧) المصدر السابق (١/١١٨).

٨) المصدر السابق (١/١٢٠).

- خطاب بن إسماعيل الغافقي، صاحب صلاة سرقسطة، توفي سنة ٢٩٧هـ، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وعناية وسماع(١).

- سعيد بن زيد، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٨٤هـ، قال ابن الفرضي: كانت له غير ما رحله، سمع فيها سماعاً كثيراً(٢).

- أبو سعيد بن عبدالله الحضرمي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان من الزهاد العباد العلماء، وكانت له رحلة وعناية(٣).

- سعدون بن طالوت، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٣١٠هـ، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وسماع، وعمر حتى جاوز المائة(٤).

- سليمان بن محمد بن تليد، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان من أهل العناية بالعلم والطلب، وكان بصيراً بالأنساب، وله رحلة إلى المشرق(٥).

- طاهر بن حزم، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان ورعاً فاضلاً(٦).

- عبدالله بن محمد بن زرقون المرادي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة إلى المشرق.. واستقضاه محمد بن عبدالرحمن التجيبي بسرقسطة، ولم يزل قاضياً إلى أن توفي رحمه الله، وكان يرحل إليه في السماع منه، حدث عنه محمد بن وضاح وأثنى عليه(٧).

- عبدالله بن يحيى القيسى، المعروف بابن الخشاب، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان صاحباً لمحمد بن وضاح في رحلته، وقد روى عنه، وكان يثنى عليه

---

١) تاريخ علماء الأندلس (١/١٣٣).

٢) المصدر السابق (١/١٦٢).

٣) المصدر السابق (١/١٨٠).

٤) المصدر السابق (١/١٨٣).

٥) المصدر السابق (١/١٨٦).

٦) المصدر السابق (١/٢٠٦).

٧) المصدر السابق (١/٢١٤).

ويصفه بالفضل والأمانة،.. وكان قد استقضى في موضعه، وكان يرحل إليه في السماع منه(١).

- عبدالله العرشاني الأسدي، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٦٢هـ، قال ابن الفرضي: كان له رحلة وسماع(٢).

- عبدالله بن أبي النعمان، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٦٥هـ، وقيل: ٢٧٥هـ، قال ابن الفرضي: كان بها قاضياً، ذكر عنه فضل وخير(٣).

- عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٣٧٢هـ، قال ابن الفرضي: رحل إلى المشرق سنة ست وخمسين ومائتين، وكان يحفظ الموطأ، وله حظ من الأدب وقرض الشعر، وولي القضاء بسرقسطة، وكان رجلاً صالحاً(٤).

- عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن قورتش، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٣٨٦هـ، قال ابن الفرضي: بلغني أن له رحلة إلى المشرق.. وولي القضاء بموضعه، ولم يزل قاضياً إلى أن توفي(٥).

- عبدالرؤوف بن عمر بن عبدالعزيز، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٣٠٨هـ، قال ابن الفرضي: كان ذا علم وفضل وعناية وسماع(٦).

- عمر بن مصعب العبدري، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان فقيهاً عالماً، وكانت له رحلة(٧).

- فرقد بن عبدالله الجرشي، من أهل سرقسطة، توفي في إمرة هشام بن

---

١) تاريخ علماء الأندلس (١/٢١٤ - ٢١٥).

٢) المصدر السابق (١/٢١٥ - ٢١٦).

٣) المصدر السابق (١/٢١٦).

٤) المصدر السابق (١/٢٤٨).

٥) المصدر السابق (١/٢٦٦).

٦) المصدر السابق (١/٢٩٤).

٧) المصدر السابق (١/٣٢٢).

عبدالرحمن، قال ابن الفرضي: كان زاهداً عالماً عابداً... وكانت له رحلة(١).

- محمد بن فرقد بن عون العدواني، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: حَدَّث(٢).

- محمد بن عجلان، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: رحل قديماً فسمع سحنون، وكان عالماً فاضلاً(٣).

- محمد بن زيد التميمي، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٨٣هـ، قال ابن الفرضي: كانت له غير ما رحلة، ورافق في بعضها عبيدالله بن يحيى، وكانت له عناية وسماع كثير(٤).

- محمد بن أسامة بن صخر الحجري، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٨٧هـ، قال ابن الفرضي: كان ذا عناية بالعلم والسماع والجمع، وهو أول من قدم بمستخرجة العتبي... وكان ثقة حسن الضبط لكتبه(٥).

- محمد بن أبي الأسعد، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٣١٥هـ(٦).

- محمد بن مفرح بن عفار، أصله من سرقسطة، توفي سنة ٣٣٨هـ، قال ابن الفرضي: كان متفنناً في العلوم، نسابة، شاعراً(٧).

- محمد بن عبدالرحمن الزيادي، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان من رجال العلم بها، وممن يحدث عنه(٨).

---

١) المصدر السابق (١/٣٥٣).

٢) المصدر السابق (٢/٤).

٣) المصدر السابق (٢/١١).

٤) المصدر السابق (٢/١٣).

٥) المصدر السابق (٢/١٨).

٦) المصدر السابق (٢/٣٦).

٧) المصدر السابق (٢/٥٧).

٨) المصدر السابق (٢/٦٣).

- محمد بن قاسم، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وعناية وسماع، وكان يحفظ المسائل حفظاً صالحاً(١).

- مسرور المُعلِّم، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كانت له رواية، ورحلة وسماع، وولاه الأمير محمد بن عبدالرحمن الشرطة، وكان فاضلاً(٢).

- مهاصر بن ربيل القيسي، من أهل سرقسطة، يكنى أبا عبدالله، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وسماع... وكان يرحل إليه للسماع منه(٣).

- يحيى بن عبدالرحمن المعروف: بالأبيض، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٦٣هـ، قال ابن الفرضي: كان له رحلة قديمة، وكان متصرفاً في ضروب من العلم، ومتقدماً في النحو واللغة بارعاً، وألف في النحو كتاباً أخذه الناس عنه(٤).

- يحيى بن زكرياء الأنصاري، من أهل سرقسطة، يعرف بابن الأفطس، قال ابن الفرضي: كان فقيهاً، عالماً ديناً خيراً(٥).

- يحيى بن خصيب، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان له سماع، وكان بصيراً بالنحو(٦).

- يوسف بن عابس المعافري، من أهل سرقسطة، قال ابن الفرضي: كان مشهوراً بالعلم والفضل، مقدماً على أهل موضعه عقلاً وأدباً، ومروءة، وكانت له إلى المشرق رحلة(٧).

- يعلى بن عبدالله الأموي، من أهل سرقسطة، توفي سنة ٢٨٨هـ، قال ابن

---

١) المصدر السابق (٢/٦٤).

٢) المصدر السابق (٢/١٣٣).

٣) المصدر السابق (٢/١٥٥).

٤) المصدر السابق (٢/١٨٢).

٥) المصدر السابق (٢/١٨٩).

٦) المصدر السابق (٢/١٨٣).

٧) المصدر السابق (٢/٢٠٣).

الفرضي: كان زاهداً فاضلاً، وكانت له رحلة وسماع كثير(١).

هذا ما وقفت عليه من أسماء العلماء الذين نسبهم ابن الفرضي إلى سرقسطة، وبالتأمل في تراجمهم يظهر لنا نتائج عديدة أوضحها فيما يأتي:

١ ـ أن مدينة سرقسطة كانت حافلة بالعلماء في شتى الفنون من محدثين وفقهاء، ولغويين ونحويين وغير ذلك.

٢ ـ أن العلم بمدينة سرقسطة كان متقدماً إذ إنَّ من بين علمائها من سمع من الإمام مالك رحمه الله.

٣ ـ أن علماءها بلغوا شأواً بعيداً، فقد غدا عدد منهم ممن يرحل إليه، ويقصد بالسماع منه.

٤ ـ عناية علمائها بنشر العلم والجلوس للتحديث، وتحمل المسؤوليات من القضاء والحسبة والشرطة ونحو ذلك.

٥ ـ اهتمام علمائها بالرحلة في طلب العلم لاسيما إلى المشرق معين العلم ومصدره، ولا شك أن للرحلة آثارها العظيمة في اتساع دائرة المرويات، وتلاقح الأفكار، ونقل المعارف والعلوم.

٦ ـ أن جل العلماء الذين تم استعراضهم عاشوا في عصر المؤلف، فكانت الفرصة مهيأة أمام القاسم بن ثابت للسماع منهم، والنهل من علمهم وأدبهم.

٧ ـ احتل القاسم بن ثابت وأبوه منزلة رفيعة، ومكانة عالية بين علماء بلدهما، وهذا ما نلاحظه عند ذكر من ينسب من العلماء لهذه المدينة، فإن أول من يذكر القاسم وأبوه ثابت، قال ياقوت الحموي: «وأنبل من نسب إلى سرقسطة ثابت بن حزم.... وابنه قاسم بن ثابت، كان أعلم من أبيه وأنبل وأورع»(٢).

---

١) المصدر السابق (٢/٢١١).

٢) معجم البلدان (٣/٢١٣).

٣ . اسمه وكنيته ونسبه(١).

هو القاسم بن ثابت بن حزم بن عبدالرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان السرقسطي العوفي.

هكذا ساق اسمه ونسبه ابنه ثابت(٢) وأما حفيده ثابت بن عبدالله بن ثابت بن سعيد بن ثابت بن القاسم فقد ساق اسمه هكذا: القاسم بن ثابت بن حزم بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي(٣).

فنلاحظ الاختلاف بينهما فيما بعد «حزم» فعند ثابت: حزم بن عبدالرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان.

وعند الحفيد: حزم بن مطرف بن سليمان بن يحيى.

---

١) مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٣٦٠/١ - ٣٦١)، طبقات النحويين ص (٢٨٤ - ٢٨٥)، رسائل ابن حزم (١٨٠/٢)، جذوة المقتبس ص (٣٣١ - ٣٣٢)، ترتيب المدارك (٢٤٨/٥ - ٢٤٩)، الغنية فهرس شيوخ القاضي عياض ص (٢٠٢)، فهرس ابن عطية ص (١٣٩ - ١٤٠)، بغية الملتمس ص (٤٤٨ - ٤٤٩)، إنباه الرواة (٢٩٧/١)، (١٢/٣)، معجم الأدباء (٢٣٧/١٦ - ٢٣٨)، معجم البلدان (٢١٢/٣ - ٢١٣)، السير (٥٦٢/١٤ - ٥٦٣)، تذكرة الحفاظ (٨٦٩/٢)، العبر (٤٦٦/١)، بغية الوعاة (٢٥٢/٢)، المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر (ق/١٣٧)، صلة الخلف بموصول السلف ص (٣١٠)، نفح الطيب (٤٩/٢)، شذرات الذهب (٢٦٦/٢)، الأعلام (١٧٤/٥)، معجم المؤلفين (٩٦/٨ - ٩٧)، تاريخ التراث، علم اللغة (٤٨٤/٢ - ٤٨٥)، شجرة النور الزكية ص (٨٦)، مخطوطة الظاهرية (٢/ق: ١٨٠)، مقال الأستاذ التنوخي عن كتاب الدلائل الذي نشر في مجلة مجمع اللغة بدمشق مجلد (٢١) ص (٣ - ٢٠)، مقالات الدكتور شاكر الفحام عن كتاب الدلائل المنشورة في مجلة مجمع اللغة بدمشق مجلد (٥٠، ٥١) ثم طبعت في كتاب بعنوان : «كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي».

٢) مخطوطة الظاهرية (٢/ق : ١٨٠).

٣) فهرس ابن عطية ص (١٣٩)، وينظر: تاريخ علماء الأندلس (٣٦١/١)، بغية الملتمس ص (٤٤٨).

وذكر الزبيدي في طبقاته(١) أنه: القاسم بن ثابت بن عبدالعزيز، وتابعه على ذلك بعض المصادر.

ولعل هذا وهم فإن «عبدالعزيز» لم يذكره في نسبه ابنه ثابت ولا حفيده، ولا ريب أنهما أعرف به من غيرهم.

وأما كنيته فاتفقت المصادر على أنه يكنى: أبا محمد وأما نسبه فالسرقسطي، وهذه النسبة إلى بلده مسقط رأسه سرقسطة.

ويقال في نسبه أيضاً العوفي، وقد ذكر ابنه ثابت حينما سأله الحكم المستنصر أمير المؤمنين عن نسبه أنهم من بني عوف من غطفان، لكن الحكم المستنصر لم يكتف بما سمع، فسأل أبا يحيى زكريا بن خطاب الكلبي، فقال: هم من البربر، يتولون زهرة من كلاب، فوقع بينه [أي ثابت والد القاسم] وبين الذين كان يتولاهم كلام، فحلف ألا ينتمي إليهم، ثم ندم وتذمم من ذلك فكتب: العوفي، فقلت له: يا أبا القاسم ما هذا؟ فقال: أليس عبدالرحمن بن عوف، وإنه من والى ولد عبدالرحمن، فهو مولى عبدالرحمن قال الحكم: فقال لي زكرياء بن الخطاب: هو مولى بني زهرة مولى علاقة، وهم من البربر وانتماء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرق كثير جداً، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبدالرحمن بن عوف، كان عندهم في الثغر وقت افتتاح الأندلس(٢).

وزكرياء بن الخطاب هذا الذي أوضح أنهم من البربر، وأن نسبتهم إلى بني عوف ولاء علاقة، كان له عناية بالأنساب ورحل إلى المشرق، وسمع كتاب النسب للزبير بن بكار، واستقدمه المستنصر بالله، وهو ولي عهد، فسمع منه أكثر رواياته.

قال ابن الفرضي: كان ثقة مأموناً، وولي القضاء، وتوفي سنة ٣٣٧هـ(٣).

---

١) طبقات النحويين واللغويين ص (٢٨٤).

٢) مخطوطة الظاهرية (ق: ١٨٠)، فهرس ابن خير ص (١٩٣).

٣) تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٥٠)، جذوة المقتبس ص (٢١٨).